

فصل

فى حرب البسوس بين بنى بكر وتغلب

قال مؤلفه كان كليب بن ربيعة قد استطال على العرب وبغى على قومه فصار يحمى عليهم المراعى ويحير الوحش فلا يصاد وكان قد حمى أرض العالية كما مر فى ترجمته فكان لا يدنو أحد من حماه حتى ضرب به المثل فيقال امنح من حمى كليب وكان لمرة بن ذهل عشرة أولاد منهم همام وهو أكبرهم وكان سيد بكر وفارسها بعد أبيه وعمرو وهو الملقب بحساس وكان فارس شيبان ومفتاح الفتنة العظمى بين بكر وتغلب ومنهم ثعلبة ونضلة والحارث وجند بوشيبان وذؤيب ونهشل وبحير وكانوا فرسان وائل وأشرافها وكانت الجليلة بنت مرة تحت كليب واختها ماوية بنت مرة تحت أخيه المهلهل وكانت دراهم ببطن شيب مما بلى تهامة وكان كليب لا يميزال يطوف فى حماه فرأى فيه ذات يوم قنبرة على بيض لها فلما رآته طارت فابتعد عنها كرمًا حتى عادت إلى بيضها وانشا يقول:

يا لك من قنبرة بمعجر	خلا لك الجو فيضى واصفري
ونقرى ما شئت أن تنقري	لا ترهبى خوفًا ولا تستنكري
فأنت جارى من صروف الحذر	إلى بلوغ يومك المقدّر

وكان رجل من جرم يقال له سعد بن شمر بن قدامة قد نزل بأهله وماله على حساس وأبيه وإخوته آل مرة بن ذهل بن شيبان وكان من أحوال حساس فأقام مع الهالة أم حساس وأختها الهيلة ابنتى منقذ التميمى من سعد مناة بن تميم وكانت الهيلة تُلَقَّب بالبسوس فلما نزل الجرمى بآل مرة جاورها وكان له ناقة يقال لها سراب

فخرجت مع أبل جساس ترعى ف يحمى كليب وكان كليب لا يأذن فى دخول الحمى إلا لإبلى أولاد مرة لما بينهم من المصاهرة ولما طافت الناقة بالحمى وطئت عش تلك القنبرة فشدخت ما فيه من البيض ووافق ذاك دخول كليب إلى الحمى فرأى ذلك ولم يعرف الناقة فنادى بجساس وسأله عن خبرها فأعلمه بها فقال كليب أولى لها ثم أولى والله لقد هممت بقتلها فلا تعد هذه الناقة فى هذا الحمى أبدًا بعد اليوم فظن جساس أنه قال ذلك ليخرج أبله من الحمى فقال بالله لتعودن مرة بعد مرة ولا تضع أبلى رؤوسها إلا وهى معها قال كليب وأنصاب وابل لئن عادت لأصعن سهمى فى ضرعها وانشا يقول

إنى ورب القمر المنير والحجر الأسود ذى الستور
لبن رعت فى البلد المحجور وأفزعت جارى بمن الطيور
لا هستكن الضرع بالمطور

فأجابه جساس يقول

إنى ورب الشاعر الغرور وباعث الموتى من القبور
وعالم المكنون فى الضمير أن رمث منها معقر الجزور
لأثبن وثبة المغير الذيا وذى البلدة الهصور
بصارو ذى فنن مشهور

فانصرف كليب إلى هله مغضبًا حتى دخل على امرأته الجليلة أخت جساس فعرفت الغيظ فى وجهه وقالت يا ابن العم ما أغاظك قال ويحك أترين أحدًا من العرب مانعًا منى جاريًا قالت لا أعلم إلا أن يكون العم أو بنيه تعنى أباهما واخونها فقال كليب:

قد قال والقول هزار زاهق إلا لمن كانت له حقائق
فاتصل قوله بجساس فاجبه يقول:

عند الزحام تحمد السوابقُ وفى الوعيد تعرف الحقائقُ
والناس منهم كاذبٌ وصادقٌ

فلما بلغ قوله كليباً خرج إلى الحمى مغضباً لا يلوى على أحد ونبعه أخوه المهلهل
وقد علم بما كان من أمره وأمر جساس فوعظه وعظم عليه الصهر والقرابة
فاستشاط كليب وقال إنما أنت زير نساء والله لين قتلت أنى أخاف أن لا تطلب
دمش فانشا المهلهل يقول

أخٌ وحريمٌ سيءٌ أن قطعتهُ	وسنةٌ عزم هدمها لك هادمٌ
وقفت على ثنتين إحداهما دمٌ	وأرى بهما منائحُ الغلاصم
فما أنت إلا بين هاتين غائص	وكلتا هما بحرٌ وذو الغى نادمٌ
ول حميمٍ أو أخ ذى قرابة	لك اليوم حتى آخر الدهر لائم
فأخِرُ فإن الشرَّ يحسن آخرًا	وقدّم فإن الحرَّ للغىظ كاظمٌ

ففكر كليبٌ فى امرءٍ عند ذلك وعاد إلى أبياته وخرجت الجلييلة حتى دخلت على
جساس ولا مته فى ما نعل فقال تباً لك يا جلييلة اتعذلىننى فى منع جارى لن فعل ولم
أقتله فأمى مثل أمه وكانت أم كليب أمّة قالت إذن يسلمك قومك ويخذاك أبوك قال
وإن خذلتُ قالت لا ظنُّك شرٌّ مولود فى وائلٍ قال نعم أن لم أمتع جارى فإن منعتهُ
فخير مولودٍ من منع من كليب فذهبت مثلاً فخرجت الجلييلة مغضبةً وقالت تعس
جساس فسألها كليب عن شأنها وأين خرجت فقالت خرجت لحاجتى فألحَّ عليها
حتى أعلمته واتصل به قول جساس أن نعل ولم أقتله فأمى مثل أمه فخرج إلى
الحمى وترك قول المهلهل ورصد على الماء حتى وردت الإبل وكانت سراب ناقة
البسوس قد عقلت خوف الفتنة قفلاً نرد الماء فلما مرّت بها إبل كليب عركت العقال
وتصرّعت فيه حتى حلتته وتبعث إبل كليب ولم تكن إبلٌ ترد الماء مع إبل كليب
حتى تصدر فسارت الناقة حتى اختلطت بالإبل ولا علم لأهلها بشيء فلما وردت
الماء عرفها كليبٌ وظنَّ أن جساساً أطلقها كيدها له فاتبعها لما صدرت وتعدت

الطريق حتى دخلت الحمى فأكلت من شجرة القنبرة التى أهلكت أولادها أول مرة
عن عشي قد عملته ثانياً لأفراخ فيه فأنفَ كليبٌ عند ذلك وغضب ورماها بسهم
معتمداً فأصاب ضرعها وردّت الناقة رأسها إلى مناخها مذعورةً يشخب ضرعها
دمًا ولبنًا حتى انتهت إلى مكانها بفناء البسوس ولها عجيج ورغاءٌ شديدٌ واتبعها
كليبٌ نظره بعد أن رماها وانشا يقول

يا طيرةً بين نبات اخضرٍ جاءت عليها ناقةٌ بمنكرٍ
أنك فى حمى كليب الأزهرِ حميته من مذحج وحميرِ
فكيف لا أمنعه من معشري

ولما سمعت البسوس عجيج الناقة طرحت خمارها وأقبلت إليها مسرعةً وإذا
السهم معتدلٌ فى ضرعها وطرفاهُ بارزان من جانبيه وعيناها تبتدران دموعاً
وأخلافها تشخب دمًا ولبنًا فصكت وجهها وصاحت وأجوار جساس وأجوار
همام وأجوار مرّة وأجوار بنى ذهل بن شيبان فابتدرت إليها رجال الحى وأقبل
جارها الجرمى صاحب الناقة ورأى ما حلّ بها فصاح بالويل والثبور وكان قد
أشرك البسوس فيها وأقبل جساس على فرسه فقال ما دهاك يا خالة قالت هذا
الباغى الذى حمى عليكم الماء والكلاء وسلمكم الخسف عقر سراب وقلدكم بها
قلايد الجوارى لا ينتشر نظامها ولا ينقص تمامها فم جعلت تعنف بنى مرة وتقول.

لعمري لو أصبحت فى دار منقرٍ لما ضمّ سعدٌ وهو جارٌ لا يياتي
ولكننى أصبحت فى دار غربةٍ متى بعدُ فيها الذيب بعدُ على شاتي
فيا سعدُ لا تغرر بنفسك ارتحل فإنك فى قومٍ عن الجار أموات
ودون اذوادى إليك فإنني عاذرةٌ أن يغلدروا بينيَّاتي
وسر نحو جرمٍ إن جرماً أعزّةً ولا تكُ فينا لاهياً بين نسوات

ولما انشدت البسوس هذه الأبيات أوغرت صدور القوم وكانت العرب تسمى
أبياتها هذه بالمورثبات وأنفَ لذلك جساسٌ وإخوته وازدادوا غضباً وحميةً وأقبل

جساس على خالته وسكن روعها وقال أقصرى يا خالته فسيقتل غداً جمل أعظم
من ناقتك فسكنت وكان لكليب بعير من كرام الإبل يقال له عليان فلما بلغه قول
جساس ظن أنه يريد أن يعقر ذلك البعير فقال ما يتمنى جساس عليان ودون عقره
خرد القناد في الليلة الظلماء ولما ماتت ناقة الجرمل انشا يقول:

جساسُ أين العهد والولاءُ جساسُ من شيمتك الوفاءُ
ليس انتهار الجار والجلاءُ كمنعه عما به يساءُ
تبألمن قال هما سواءُ

فقام جساس إلى خالته وجارها واقتطع لهما من أبله قطيعاً يرضيهما وكان كليب
قد استطال لما عقر الناقة وانشا يقول في ذلك:

ستعلم آل مرة حين اضحت بأن حماى ليس بمستباح
وإن لقاح جارههم ستغدو على الأقوام غدوت كالرواح
وتضحى بينهم لحماً عيطا يقسمه المقسم بالقдах
وظلوا أننى بالخير أولى وأنى كنت أولى بالنجاح
إذا عجبت وقد جاشت عقيراً تبئت المراض من الصحاح
وما يسرنى اليدين إذا أضرت بها اليمنى بمدركة الفلاح
بنى ذهل بن شيان خذوها فمافى ضربتها من جناح

فلما بلغ جساساً قول كليب انشا يقول

إنما جارى لعمرى فأعلموا أدنى عيالى
وأرى للجار حقاً كيمنى من شمالي
وأرى ناقة جاري فأعلموا مثل جمالي
إنما ناقة جاري فى جوارى وظلالى

دفع ضميم بالعوالي
دون عرض الجار مالي
ويدي رهن فعالي
لومه عند رجالي

أن للجار علينا
فأقلل اللوم مهلاً
سأوءى حق جاري
أو أرى الموت فيبقى

وأقام جساس بعد ذلك بتوقع خروج كليب إلى الحمى حتى بلغه أنه قد ركب إليه فخر في طلبه وتبعه عمرو بن الحرث لينهاه عن التعرض لكليب فركض جساس وعمرو في أثره حتى دنا من كليب وقد دخل الحمى فسمع كليب وقع الفرسين وكان لا يلتفت إلى أقل من أربعين فارساً لجرايته ولا يبالي بما دون ذلك فاقترحه جساس وعمرو ويناشده الله أن لا يفعل فلم يسمع له وعرف كليب هجوم جساس فقال يا ابن عمى قد علمت ما أليت به على نفسى فإن كنت من رجالى فأتنى من قدمى فقال جساس وددت أن اقتلك ولا أراك مدبراً فكيف مقبلاً ثم وضع سنانهُ في صلبه فصرعه ووقع كليب مفحص الأرض مرجه ونادى يا جساس اغثنى بشربة ماء قبل الموت قال هبات تجاوزت شيئاً والأحصى يريد منهلين كانا لهم من الماء فذهب قوله مثلاً وأراد عمرو بن الحرث أن يسقى كليباً فمنعه جساس ثم وقف جساس على رأس كليب وانشا يقول

فأذهب بها نجلاء من جساس
صعب المراقى ذاهباً فى الناس
فأشرب هديت من المنون بكاس
فى كل يوم حفيظة ومراس
ونذب عنه ذوايب الابل اس
تبقى لها بحافة ومكاس
يىدى أغر مهذب ذى باس
من بعد طول تجهم وعباس

اجارنا تبغى كليب سفاهة
قد رمت أمراً كنت تضعف دونه
فسقيت كاساً للمهنية مرة
ولنحن اصبر فى المواطن واللقا
نجمى الذمار فلا يرام جنابنا
اعقرت ناقة جارنا وزعمت أن
وسنان رمى كالشهاب أديره
ارويته منك الغداة بطعنة

وانصرف جساس وابن عمه عمرو بن الحرث عن كليب وتركاه مجذلاً يجود بنفسه وأقبل الرعاة بعد ذلك فكانوا كلما نظروا كليياً على تلك الحال يهربون عنه وكليب يشير إليهم بيده أن يسقوه فلم يسقه أحدٌ منهم حتى مات وكان ذلك سنة أربعماية وتسعين للمسيح هذا وأن جساساً لما انصرف هو وابن عمه عمرو بن الحرث إلى أهلها يركضان كان مرةً بن ذهل أبو جساس في نادى قومَه نظر إلى جساس يركض وقد بدت ركبتهُ وكان فيهما بياضٌ من أثر السرج فقال لمن حوله أن لهذا الفارس شأنًا وإنى لأظنه جساساً فإن يكن كذلك فقد جاءكم بالداهية العظمى التى تذُلُّ لها رقابٌ وليل قالوا من أين عرفت ذلك قال أراه قد بدت ركبته ولم يفعلها منذ ركب الخيل فلما انتهى إليهم قال أبوه ما وراءك يا جساس قال شرٌّ عظيمٌ والله لقد طعنت اليوم طعنةً ترقص لها عجائزٌ وائل قال وما هى لأمك الويل قتلت كليياً قال أى وأنصاب وائل واى قتل قال إذن نسلمك بجريرتك ونريق دمك فى صلاح العشيرة لا ناقتى فيها ولا جملى ولا أنا منك ولا أنت منى والله لبيئس ما فعلت فرّفت جماعتك وأطلت حربها وقتلت سيدها ورئسها فى شارفٍ من الإبل والله لا تجتمع وابل بعدها أبداً ولا يقوم لها عمادٌ فى العرب فقال له قومهُ لا تقل هذا ولا تفعل فيخذلوه وأياك فامسك مرةً وغمس يده مع ابنه فى الحرب واستعدَّ لها وانشا جساس يقول:

فإن الأمر جلٌّ عن التلاحي
نقصُ الشيخ بالماء الفراح
تشبُّ لها بأخرى غير صاح
إذا خمدت كنيران الفصاح
لما نَدَبْتَ وتعلن بالنواح
ليمنع حمية القاع المباح
عقاب البغى رافعة الجناح
له كأسٌ من الموت المُتاح

تأهَّب مثل أهبة ذى كفاح
وإنى قد جنيت عليك حرباً
مذكرةً متى ما تصح منها
تسعر نارها وهجاً وجاءت
وما تنفكُ نايحةً تعزِّي
سوى كلبٍ عوى بطن قاع
فلما أن راينا واستبنا
صرفت إليه نحساً يوم سوء

وتدعو آخرين إلى الصلاح
طراد الخيل عارضة الرماح
سوى الخطى والفرس الوقاح

تشكىل دانيات البغى قوماً
ذرى قد طربتُ وحنّ مني
ومالى همّة أرجو أخاها
فأجابه أبو مرة بن ذهل يقول:

فلا وكلّ ولا رث السلاح
إلى الموت المحيط مع الصباح
أعيد الرمح فى أثر الجراح
ولكنى أبوه إلى الفلاح
بأطراف العوالى والصفاح
فيمنعه من القدر المتأح
وبعض العار لا يحوه ماح

لئن تك يا بنى جنيت حرباً
ولكنى إلى العلات أجرى
وانى حين تشتجر العوالى
شديد البأس ليس بذى عياء
سألبس ثوبها وأذب عنها
فما يبقى لعزته ذليل
وأحمل من حيوة الذل موت

ثم قال مرة لبنيه اظعنوا بنا عن مجاورة القوم حتى ننظر ما يصنعون فظعنوا وكان
همام بن مرة أخنو جساس والمهلل بن ربيعة أخو كليب متنادين متصاحبين على
اللهو والشراب لا يكتم أحدهما عن صاحبه شيئاً ولا تطيب نفسه بالإنفراد عنه فلما
ظعن مرة بأهله أرسل إلى ابنه همام فرسه مع الجارية وأمره أن يظعن ويلحق أهله
فلما انتهت الجارية بالفرس إليهم وهما معتزلان فى جانب الحى وثب همام إليها وقال
ما دهأك قالت شرّ طويل قتل جساس كليياً وقد ظعن أبوك واخوتك وأرسلوا إليك
الفرس لتحلق بهم فأخذ همام الفرس وربطه إلى خيمته ورجع إلى المهلهل فقال
المهلل ما شأن الجارية والفرس وما بالك متغيراً قال أشرب ودع عنك الباطل قال
وما ذلك قال زعمت أن جساساً قتل كليياً أخاك فضحك وقال يد جساس أقصر
من ذلك ولكن اليوم خمرٌ وغداً أمراً فذهبت مثلاً ثم أقبل على شرابهما فجعل مهلهل
يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف فلما سكر المهلهل ركب همام ولحق
بأهله فى اليمن وشاع قتل كليب فى الحى وقامت عليه النوايح وخرجت العوانق من

الخدور وصكت عليه الوجوه وشقت الجنوب ورجع المهلهل بن ربيعة إلى قومه
سكران وهم يعقرون خيولهم ويكسرون رماحهم وسيوفهم فقال ويحكم ما الذى
دهاكم فلما أخبروه الخبر قال لقد ذهبتُم شرَّ مذهبٍ اتعقرون خيلكم حين احتجتم
إليها وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم إليه فانتهوا عن ذلك ورجع إلى النساء
فنهاهنَّ عن البكاء وقال استبقين للبكاء عيونًا تبكى إلى آخر الأبد فظنَّ قومه أن
ذلك على وجه السكر لأنه لم يكن يُعرف بالشجاعة فى الحرب وكان كليب قد كفاهُ
الحروب والغزوات وكان يسميه زير النساء أى جليسهنَّ لأنه كان صاحب لهُوٍ
ونساء وكان أصبح أهل زمانه وجهًا وأفصحهم لسانًا وأرقهم سُعرًا وحديثًا وبلغ
الخبر الحارث بن عباد وكان من أشدَّ العرب بأسًا ونجدةً فقال لا نقاتى فيها ولا
جملى واعتزل بقومه ورجع المهلهل يومه إلى شرايه وهو يقول:

دعيني فما فى اليوم مصحى لشاربٍ	ولا فى غدٍ ما أقرب اليوم من غدٍ
دعيني فأنى فى سمارير سكرةٍ	بها جلُّ همى واستبان تجلدي
فإن يطلع الصبح المنير فإننى	سأغدو الهوَّ بنا غير وإن مفرد
وأصبح بكرًا غارةً صيلميةً	ينال لظاها كل شيخ وامرد

ولما ناحت النساء على كليب وخشن الوجوه ونشرن الشعور خرجت البهنَّ
الجليلة بنت مرَّة ارمأة كليب تبكى معهنَّ فقلن لها ابعدى منا فإنك شامته وقد
حرضت أخاك على قتل سيدنا فخرجت حتى لحقت بأهلها وانشأت تقول:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا	تعجلي باللوم حتى تسألني
فإذا أنت تبينتى التي	عندها اللوم فلومى وأعذلي
جلُّ عندى فعل جساس بنا	غمَّة المدهر ليست تنجلي
فعلُ جساسٍ وما جاء به	قاطعٌ ظهري ومدنٍ أجلي
يا قتيلاً هدم الدهرُ به	سقف بينى جميعاً من على
هدم البيت الذى استحدثته	وبدا فى هدم بيتى الأول

ولما أصبح المهلهل غدا إلى أخيه فدفنه وقام على قبره يرثيه ويقول

أهـاج قـذاء عـينى الأذكارُ
وصار الليل مشتملاً علينا
أرقت وناست الشعراء عني
وبت أراقب الجوزاء حتى
أصرف مقلتي فى أثر قوم
وأبكى والنجوم مطلعات
على من لو نعت وكان حياً
دعوتك يا كليب فلم تجبني
أجبنى يا كليب خلاك ذم
أجبنى يا كليب خلاك ذم
سقاك الغيث أنك كنت غيثاً
أبت عيناى بعدك أن تكفأ
وإنك كنت تحلم عن رجال
وتمنع أن يسهم لسان
وكنت أعد قربي منك ريحاً
فلا تبعد فكل سوف يلقى
يعيش المرء عند بنى أبيه
أرى طول الحياة وقد تولى
كأنى إذ نعى الناعى كلياً
فدرت وقد غشى بصرى عليه

هدوا فالدموع لها انحدارُ
كانَّ الليل ليس له نهار
والمباقين بعدُ بنا اعتبار
تقارب من أويلها انحدار
تباينت البلاد بهم فغاروا
إلى أن تحوَّا عني البحار
لقاد الخيل بحجبها الغبار
وكيف يجيئني البلد القفار
ضنينات النفوس لها مدار
لقد فجعت بفارسها نزار
ويسراً حين يلتمس اليسار
كانَّ قذى القتاد لها شفارُ
وتعفو عنهم ولك اقتدار
مخافة من بغير ولا بحار
إذا ما عدت الريح التجار
شعوباً يستدير بها المدار
ويوشك أن يصير بحيث صاروا
كما قد يسلب الشيء المعار
تطاير بين جنبى الشرار
كما دارت بشاربها العقار

سألت الحى اين دفتموه
فسرت إليه من بلدى حيثما
وحادت ناقتى عن ظلّ فبر
لدى أوطان أروع لم يشنه
ذكرت نخفت أياماً طوالاً
أتغدو يا كليب معى إذا ما
أتغدو يا كليب معى إذا ما
أتغدو يا كليب معى إذا ما
أقول لتغلب والعزّ فيها
تابع اخوتى ومضوا لأمر
خذ العهد الأكيد على عمري
وهجرى الغانيات وشرب كأس
ولست يخالغ درعى وسيفي
والأ أن تبيد سراة بكر

فأجابه جساس بن مرة يقول:

ألا أبلغ مهلهل ما لدينا
بكيناً وإيل الباغى علينا
ونحن مع المنايا كل يوم
وكلّ قد لقى ما قد لقينا

وقال المهلهل يرثى أخاه أيضاً من أبيات:

كُليبٌ لا خير فى الدنيا ومن فيها

فقالوا لى بسفح الحى دار
وطار النوم وامتنع القرار
ثوى فيه المكرم والفخار
ولم يحدث له فى الناس عار
يخالطهنّ آفات كبرار
جبان القوم انجاء القرار
فسيل القوم شطّ به المزار
حلوق القوم مشحذها الشفار
اثيروها لذلکم انتصار
عليه تتابع القوم الحسار
بتركى كلّ ما حوت الديار
ولبس جبّة لا تستعار
إلى أن يخلع الليل النهار
فلا يبقى لها أبداً إثار

فادمعنا كادمعیه غزارُ
وشرّ العيش ما فيه غيارُ
ولا ينجى من الموت الفرارُ
وكلّ ليس منه له اصطبارُ

إن أنت خلّيتها فى من يخليها

كليب أى فتى عزّ ومكرمة
نعى النعاة كلياً لى فقلت لهم
ليت السماء على من تحتها وقعت
الناحر الكوم ما ينفك يطعمها
الحلم والجود كانا من طباعه
أضحت منازل بالسلان قد درست
قد كان يصحبها شعواء مشعلة
من خيل تغلب ما تلقى اسنتها
كليب أى فتى زين ومكرمة
تكون أولها فى حين كرتها
حتى تكسر شزراً فى نحورهم
امسمت وقد أوحشت جرد بلقعة
يتفرن عن أم هامات الرجال بها
ياربّ يوم يكون الناس فى رهج
مستقدماً غصصاً للحرب مقتحماً
لا أصلح الله منا من يصالحكم

فأجابه جساس بن مرة يقول:

أبلغ مهلهل عن بكرٍ مغلغلةً
تبكى كلياً وقد شالت نعامته
فأصبر لبكر فإن الحرب قد لقحت
فقد قتلنا كلياً لم نبال به

تحت الصفاة التى يعلوك سانيها
مادت بنا الأرض أم مادت رواسيها
وحالت الأرض فأنجابت بمن فيها
والواهب المثنة الحمرا براعيها
ما كل آلائه يا قوم نخصبها
تبكى كلياً ولم تفرغ أقاصيها
تحت العجاجة معقوداً نواصيها
ألا وقد خضبتها من أعاديها
تقود خيلاً إلى خيلٍ تلاقيها
وأنت بالكرّ يوم الكرّ حاميتها
زرق الأسنة إذ تروى صواديها
للوخش منها مقيلاً فى مراعيها
والحرب يفترس الأقران صاليها
به جعلت على نفسى مكايها
ناراً اهيجهـا حيناً واطفيها
حتى يصالح ذيب المعز راعيها

منتك نفسك من غى أمانيتها
حقاً وتضمـر أشياء ترجيها
وعزّ نفسك عمن لا يواليها
بناب جارٍ ودون القتل يكفيها

حقاً وندفع عنها من يعاديها

نحمى الذمار ونحمى كل أرملة

وقال المهلهل يرثى أخاه أيضاً

وقتيلاً من الأراقم كهلاً

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً

أو نبيد الحيين قيساً وذهلاً

قتلته ذهلاً فلست براضٍ

فينال الشرار بكراً وعجلاً

ويطير الحريق منا شراراً

أو تعم السيوف شيان قتلاً

قد قبلنا به ولا ثار فيه

أو تحلوا على الحكومة حلاً

ذهب الصلح أو تردوا كلياً

أو أذيقى الغداة شيان ثكلاً

ذهب الصلح أو تردوا كلياً

أو تنال العداة هونا وذلاً

ذهب الصلح أو تردوا كلياً

أو تذوقوا الوبال ورداً ونهلاً

ذهب الصلح أو تردوا كلياً

أو تميلوا عن الحلايل عزلاً

ذهب الصلح أو تردوا كلياً

لم يميلوا عن السفاهة جهلاً

أو أرى القتل قد تقاضى رجلاً

لدفينا علا علاً وجللاً

إن تحت الأحجار والتراب منه

أن ترى هامتي دهائناً وحكلاً

عزاً والله يا كليب علينا

وما زال المهلهل يبكى أخاه ويندبه ويرثيه بالأشعار ولا يفعل شيئاً سوى الوعيد
فى أشعاره حتى يئس قومه منه وقالوا أنه زير النساء وسخرت منه بكر واستحقروه
وقالوا إنما المهلهل نابحة ليس عنده خير ولا شر وهم آل مرة بالرجوع إلى الحمى
وبلغ المهلهل ذلك فانتبه للحرب وشمّر ذارعيه وتوسط نادى قومه وإلى على نفسه
أن لا يقرب النساء ولا يشمّ الطيب ولا يشرب الخمر حتى يقتل بكل عضو من
كليب رجلاً من بنى بكر بن وائل فقال له أكابر قومه أننا نرى أن تعجل بالحرب
حتى نُعذر إلى إخواننا فبالله ما تجدع بحرب قومك إلا أنفك ولا تقطع إلا كفك
فقال جدعه الله إننا وقطعها كفاً والله لا تحدث نساء تغلب أنى أكلت لكليب ثمناً

ولا أخذت له دية فقالوا له لا بد أن تغض طرفك وتخفض جناك لنا ولهم فكره المهلهل أن يخالفهم فيغضبوا عليه وقال دونكم ما أردتم فانطلقوا في جماعة من أشراف تغلب حتى دخلوا على مرة بن ذهل وجماعة قومه وأولاده فقالوا يا قوم قد جنيتهم أمراً عظيماً وقتلتهم رؤسنا ورؤسكم في ناب من الإبل وقطعتم الرحم والحرمة بيننا وبينكم ونحن نكره العجلة عليكم دون الأعذار وإننا نعرض عليكم إحدى ثلث لكم فيها مخرج ولنا مرضاة قال مرة وما هي قالوا تدفعون إلينا جساساً قاتل كليب فنقتله به أو تدفعون إلينا أخاه هماماً فإنه نذ لكليب أو تُقيدنا أنت من نفسك يأمرة فإنك رضى للقوم فقال لهم مرة أما جساسٌ فغلامٌ مائِقٌ طعن طعنة ثم ركب فرسه هارباً فوالله ما أدرى أى البلاد أنطوت عليه وأما همامٌ فحاله ما قد علمتم وهو أبو عشرة وأخو عشرة وعمُّ عشرة وخال عشرة فلا تقيدونه بجريرة غيره ولو اردت أن أقيده كرهوا ذلك ومنعوني ولو قتلها هروا في وجهى هرير الكلاب النواج وإما أنا فوالله ما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل لكبرى وضعفى ولكنى أعرض عليكم غير هذا قوالوا وما ذلك قال أعطيك ألف ناقة سود المقل تضمنها لكم بكر أبنه وائل وإلا فهؤلاء بنى فاقتلوا أيهم شئت فقتل التغلبون والله ما جينا نساومكم بكليب ولا نطلب منكم ثمته أما بنوك هؤلاء فبنو عمنا ولا نرضى بكليب جميعهم ولا نطلب الأمثلة أو دونه بقليل ثم انصرفوا عنه وقد أيقنوا بالحرب والهلكة وأخبروا المهلهل بذلك فقال والله ما كان كليب يجزور نأكل له ثمناً وتعاضمت الأمور بين الحيين وادن بعضهم بعضاً بالحرب وغضبت قبائل ربيعة لقتل كليب وراوا أن بنى شيان قد ظلموهم إذ قتلوه في شارب من الإبل فظعنن النمر بن قاسط وعقيل بن قاسط حتى انضموا إلى تغلب فصاروا يداً واحدة على بنى شيان واعتزلت عن حرب التغلبين قبائل بكر منها يشكر وعجل وقيس بن ثعلبة ورأسها الحارث بن عباد بن ضبيعة فارس النعامة وكان فارس ربيعة وشاعرها في زمانه وكان من سجاعته إذا دخل بين الصفوف وتمنى قومه فأرسا من الأعداء حمل عليه فلم يعد حتى يلبثهم به فاعتزل الحارث في من أطاعه من قبائل بكر ونزع سنان رمح ووتر قوسه ولما اعتزلت هذه القبائل عن الحرب

النتهم شيان تستنصرهم فقالوا لهم يا بني شيان ظلمتم قومكم وقتلتم سيدكم
وهدمتم عزكم ونزعتم ملككم فوالله لا نساعدكم فانصرفوا خايين ولم يحارب أحدٌ
منهم مع شيبا حتى أسرف المهلهل في القتل وكان منه ما كان ثم أن المهلهل بعد
ذلك لبس لامته من الدرع والبيضة العادية والجوشن وإلى على نفسه لا ينزع البيضة
عن رأسه والدرع عن جسده حتى يبلغ ما يشتهي أو يموت فيلحق بكليب أخيه ثم
رتب الجيوش والمواكب وأغار إلى القتال في رجال كالسلاهب أو كالرماح
الكواعب فالتقت شيان في مكان يقال له الذنائب واقتتلوا قتالاً شديداً في تلك
السباسب حتى زهقت النفوس والأرواح ونثرت الأعناق بأيدي الصفاح واهتزت
الأرض من ركض الخيل في تلك البطاح وما زالوا يقتتلون من الصباح إلى غروب
الشمس فانهمزمت بنو شيان وكان قد قتل منهم نحو ألفين نفس واشتهر المهلهل في
ذلك اليوم بالشجاعة والبأس ووقعت هيئته في قلوب البكرين وباقي الناس وقال
في ذلك:

مَن مبلَغُ بكراً وإل أبيهم	عنى مغلغلة الرديء الأنعس
وقصيدة شعواء باق نورها	تبلى الجبال وإثرها لم يطمس
أكليب أن النار بعدك أخدمت	ونسيت بعدك طيبات المجلس
أكليب من يحمى العشيرة كلها	أو من بكر على الخميس الأشوس
من للأرامل واليتامى والحمى	والسيف والرمح الدقيق الأملس
ولقد شفيت النفس من سرواتهم	بالسيف فى يوم الذنيب الأغبس
إن القبائل أضرمت من جمعنا	يوم الذنائب حر موت أحمس
فالأنس قد ذلت لنا وتقاصرت	والجن من وقع الحديد الملبس

ثم أغار المهلهل ثانية فكانت بينهم وقعة بجانب اليمن أدار بها رحي الموت على
بنى ذهل بن شيان وقتل فرسانهم وأهلك ساداتهم وشجعانهم ثم كثرت بينهم
الفتن والمخاصمات والوقائع والغارات واشتعلت نار الحرب وكثر بينهم القتل

والنهب حتى التقوا يوم عُنيزة فدنا بعضهم من بعض وقد تحالطت الصفوف واشتبك الجمعان فتجالدوا بالسيوف وبرز مهلهل يهدر كالأسد المصور ويقول واكليياه قتيل الجزور ثم حمل على مرة بن ذهل وضرب هامته بالسيف فنغذ السيف من البيضة إلى الراص وصرعه قتيلاً وحملت أولاده دونه فقتل منهم ثلثة وأنهمز عنه همام وجساس ثم أغارت بنو تغلب فالتقوا في واردات وكان مقدم النغليين ناشرة بن أغوات وكان من فرسان تغلب لمشاهير وأبطالها المغاوير وكانت أمه أمه لهام بن ثمرة ولدته في سنة شديدة فمر بها همام حين وضعته وهى تقول للقبالة أقتليه واخفى خبره ولا تبقيه فقال لها ويحك لماذا تقتلين ولدك وهو قطعة من كبذك فتنهدت من فوادٍ موجوع وقالت أنى أخالف عليه الجوع فأستبقاه وأمر لها بجمل ذلول وناقية حلوب ونشأ الغلام حتى بلغ فكان فارساً من الفرسان المعدودين في ربيعة ودخل مع قومه بنى تغلب في الحروب. فلما كان يوم واردات خرج همام بن مرة يسقى الناس اللبن فراه ناشرة فقصد إليه فقتله فقالت أم ناشرة في ذلك

ألا ضيِّع الایتام طعنة ناشره أنا شرّاً زالت يمينك وأنره
قتلت رئيس الناس بعد رئيسيهم كليبر ولم تشكر وإنى لشاكره

وعظمت مصيبة همام في بنى ذهل فحمل عباد الجهم الشكرى على ناشرة فقتله بين الصفين وكان بنى يشكر معتزلين الحرب فحمل المهلهل على الشكرى فقتله وتجالد الحيان إلى المساء ثم افترقوا وانصرف المهلهل يقول:

لما نعى الناعى كلياً أظلمت شمس النهار فما تريد طلوعا
قتلوا كلياً ثم قالوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا
كلّا وانصاب لنا عاديّة معبودٍ قد قُطعت تقطيعا
حتى أيّد قبيلةً وقبيلةً وقبيلةً وقبيلتين جميعا
وتذوق حنفاً آل بكر كلها ونهدّ منها سمكها المرفوعا
حتى ترى أوصالهم وجماجماً منهم عليها الخامعات وقوعا

وترى سباع الطير تنقر أعينًا وتجر أعضاء لهم ضلوعا
والمشرفية لا تعرج عنهم ضرباً يقدر مغافراً ودروعا
والخيل تقتحم الغبار عوابسًا يوم الكريهة ما يردن رجوعا

ومرَّ المهلهل في طريقه بهام بن مرة وهو قتيْل وكان صهره ورفيقه ونديمه وصديقه فارتجع له وأطرق مفكرًا وبكى وبقي متحيرًا ثم قال والله ما قتل في وائل بعد كليب سيّد ولا مولى أعزُّ على منك ولا أغلى. والله لا تجتمع وأيل بعد كما على صلاح ولا خير ولا نجاح وقتل في ذلك اليوم عمرو بن السدوس الذهل سيد بنى ذهل عثرت به فرسه فأدركه الماروت بن عمرو التغلبى وطعنه فقتله وقتل المهلهل الشعثمين ابني معوية وكانا من سادات بنى ذهل وفرسانهم وأسر ثعلبة بن عوف والمرقش الأكبر وهو عمرو بن سعد بن مالك فقتل ثعلبة وأطلق المرقش فطلب المرقش بدم ثعلبة حتى قتل رجلًا من بنى تغلب يقال له عمرو بن عوف وقتل ذلك اليوم الحارث بن مرة أخو جساس وأصاب المهلهل منهم جماعة بين أسير وقتيل. فحمد بعض ما عنده من الغليل. وقال قصيدة يذكر فيها أخاه كليبًا وغدر بنى شيبان ويحرض قومه على طلب دم كليب وكانت العرب تسمى هذه القصيدة بالدهاية وكانوا يتناشدونها إذا أرادوا حربًا أو مخالفةً أو ضرب قداح وأرادوا إنشادها اغتسلوا لها وهي القصيدة التي يقول في مطلعها:

جارت بنى بكر ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصد الطريق

وهي من جملة القصائد المعروفة بالأسابيع السبع وقد أثبتناها بتمامها مع غيرها من الأشعار النفيسة في هذا الكتاب في باب المنتقيات فلا حاجة إلى تكرارها ولما بلغ جساس بن مرة هذه القصيدة أنشد يقول:

أنا على ما كان من حادث لم نبدأ القوم بذات العقوق
قد جرّبت ارماحنا بالطعن إذ جاروا وحز الحلق
لم ينهمم ذلك عن بغيهم يومًا لوم يعترفوا بالحقوق

وأسعروا للحرب نيرانها
 أليس من أردى كليياً لمن
 من شرع العدوان فى وائل
 بدلتُم بالظلم فى قومكم
 والظلم حوضٌ ليس يسقى به
 فإن أبيتُم فأركبوها بما
 للظلم فىنا بأباً والفسوق
 دون كليب منكم بالمطيق
 اقترف الظلمَ وضنك المضيق
 وكنتم مثل العدو الخنيق
 ذو منعة فى كل أمرٍ يطيق
 فيها من الفتنة ذات البروق

ولما قتل المهلهل بنى بكر يوم واردات حميت لذلك قبائل وائل وأسخطهم ما بلغهم من قول المهلهل وتولى أمرهم حينئذ الحارث بن همام بن مرة وكان شجاعاً كريماً ونهض سعد بن مالك بن ضبيعة جد طرفة بن العبد الشاعر وكان من فرسان ربيعة وجعل يحرص من اعتزل من قبائل بكر حتى اجتمعوا على حرب تغلب إلا الحارث بن عباد فإنه لم يزل معتزلاً بقومه وأهل بيته فأقبل سعد بن مالك يحرصه على حرب تغلب فلم يحببه الحارث إلى ذلك ولبت معازلاً بقومه عن حرب التغلبين واتفق بعد ذلك أن أبلاً للحارث ضلت من المراعى فخرج أبنةٌ يحير فى طلبها وكانت أمه ابنة ربيعة بن مرة أخت كليب والمهلهل وكان المهلهل يومئذ قد خرج فى كتيبة من تغلب يطلب غرة من بنى بكر بن وائل فصادف بجيراً فى بعض الطريق فصاح بأصحابه فأخذوا الغلام وأتوه به ولم يكن خاله المهلهل رآه قبل ذلك لأنه ولد بعد قتل خاله كليب فلما رآه أعجبه ما رأى من جماله وهيئته فقال له من أنت يا غلام قال أن بجير بن الحارث بن عباد قال فمن أمك قال أم الأغر بنت ربيعة بن مرة قال فمن خالك قال مهلهل بن ربيعة سيد بنى تغلب فأهوى إليه بالرمح فقال الغلام لماذا تقتلنى ولا ذنب لى وقد اعتزل أبى حربكم وكف يده فى من أطاعه من قومه وكان مع المهلهل امرأة القيس بن أبان بن زهير بن جشم وهو فارس تغلب وشاعرها بعد المهلهل فقال ويحك يا مهلهل أتريد أن نهاك نفسك وقومك وتعين أعداءك بنى شيبان بالحارث بن عباد وقد علمت مكانه فى نزار وبطشه فى الحرب وطاعة قومه له وهو لم يتعرض لنا بسوء فخلّ سبيل الغلام فقال المهلهل يا ابن أبان

إذا لم أقتل ابن الحارث فمن أقتل والله لا تركته أبداً علينا وعليهم الصبر وعلى نساينا ونسايهم البكاء ثم قام لجبير بن الحارث فضرب عنقه وأخذ رأسه فعله على ناقته ومضت الناقة حتى أتت أهلها فلما رآها الحارث بن عباد ورأس مجير معلق بها عرف قاتله فقال نفسى الفداء لقتيل بين قومه واجتمع إليه قومه وخرجت النساء صاحات فاسكتهن الحارث وقال خير مولود في وابل من أصلح أمرها وكف حربها وحبس دماءها وكان الحارث سيذاً شريفاً حليماً وقوراً كريماً شديد الأس والنجدة فأراد أن يصلح عشيرته بدم ولده حتى بلغه أن المهلهل لما قتل بجيراً قال بشسع نعل كليب فغضب الحارث وأخذته حمية الجاهلية وبلغ ذلك قومه فطرقوه ليلاً على خيولهم مستلثمين للحرب وقالوا أراضيت أن يكون ولدك بشسع نعل كليب وهو ليس بدون كليب وأنت سيد ربيعة وفارس نزار فقال لا تعجلوا على فقد يأتي الحديث عن غير أهله وأرسل إلى مهلهل يقول إ، كنت قتلت بجيراً بخاله كليب وطابت نفسك بشارك وقطعت الحرب عن بنى عمك فما أَرْضَانِي بذلك وأطيب نفسى به ونعم القتيل من أَرْضَاكَ وأصلح أمر وائل فأرسل إليه المهلهل إنها ولدك بشسع نعل كليب فأصنع ما بدالك فلما انتهى ذلك إلى الحارث قام به الغضب وكانت الجارية حينئذ قد سرحت بابل فقل ويحك ردى جمالك فما لى اليوم من حمل فذهبت مثلاً ونادى فى قومه بالحرب وإنشأ وتميل:

كل شيء مصيره للزوال	غير ربى وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعاً	ليس فيهم لذاك بعض احتيال
قل لأم الأغر تبكى بجيراً	حيل بن الرجال والأموال
ولعمري لا بكين بجيراً	ما أتى الماء من رؤوس الجبال
لهف نفسى على مجير إذا ما	جالت الخيل يوم حرب عضال
وتساقى الكماء سماً نقيعاً	وبدا البيض من قباب الحجال
وسعت كل حرة الوجه ندعو	بالبكر غراء كالتمثال

يا بجير الخيرات لا صلحَ حتى
وتقرَّ العيون بعد بكاهها
أصبحت وايلٌ تعجُّ من الحر
لم أكن من جناتها علِمَ الله
قد تجنبت وايلًا كى يفيقوا
وأشابوا ذوء ابتي بجبير
قتلوه بشسع نعل كليب
با بنى تغلب خذوا الحذر أنا
يا بنى تغلب قتلتم قتيلاً
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى
قرباً مربوط النعامة منى

نملأ اليد من رؤوس الرجال
حين تسقى الدماء صدور العوالي
ب عجيج الجمال بالأنقال
وأنى لحرها اليوم صال
فأبت تغلب على اعتزالي
قتلوه ظلمًا بغير قتال
أن قتل الكريم بالشسع غال
قد شربنا بكأس موت زلال
ما سمعنا بمثله فى الخوالي
لقحت حرب وايل عن حيال
ليس قولى يراد لكن فعالى
جدّ نوح النساء بالأعوال
شاب رأسى وانكرتنى القوالي
للسرى والغدو والآصال
طال ليلى على الليالى الطوال
لاعتناق الأبطال بالأبطال
واعتدلا عن مقالة الجهال
ليس قلبى عن القتال بسال
كلما هب ريح ذيل الشمال
لججير مفكك الأغلال
لكريم متوجّ بالجمال

لا تبيع الرجال يبيع النعال
لجبير فداؤه عمى وخالي
لاعتناق الكمأة يوم القتال
عًا دلاساترُدُّ حدَّ النبال
لقراع الأبطال يوم النزال
تَ على هيكلي خفيف الجلال
وأسألوا مذبحًا وحى هلال
مكفهرّ الأذى شديد المصال
كل ماضى الذباب غضب الصقال

قربًا مربوط النعامه مني
قربًا مربوط النعامه مني
قربًاها لحي تغلب شوساً
قربًاها وقربًا لأمتى در
قربًاها بمرفعات حداد
رُبَّ جيشٍ لقيته يطرمو
سائلوا كدة الكرام وبكرًا
إذا أتونا بعسكرٍ ذى زهاء
فقريناه حين رام قرانا

وهى طويلة اقتصرنا منها على هذه الأبيات فأجابه المهلهل يقول:

رهن ربح وديمة مهطال
راسات كصنعة العمّال
لا يريدون نية الارتحال
ولقتل الكمأة والأبطال
لكليب إذ فافها بانهمال
نافسات التراب بالأذيال
بينهم حارث يريد نضالي
ال شيبان بين عمٍ وخال
وشقيقتم بقتله فى الخوال
كل فيلٍ يُسمى من الأفيال
بما قد جتّوه وطيء النعال

هل عرفت الغداة من اطلال
يستبين الحلیم فيها رسوماً
قد رآها وأهلها أقل صدق
بالقومى للوعة البلبال
ولعين تبادر الدمع منها
لكليب إذ الرياح عليه
أننى زائرٌ جموعاً لبكر
قد شفيت الغليل من ال بكر
كيف صبرى وقد قتلتم كليبا
فعمرى لأقتلن بكليب
ولعمرى لقد وطيت بنى بكر

لم أدع غير أكلب ونساء
فأشربوا ما وردتم اليوم منا
زعم القوم أننا جار سوء
لم ير الناس مثلنا يوم سرنا
يوم سرنا إلى قبائل عوف
بينهم مالك وعمر وعوف
لم يقيم سيف حارث بقتال
صدق الجار أننا قد قتلنا
لا ثمل القتال يا ابن عباد
يا خليلي فربا اليوم مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني
قربا مربوط المشهر مني

وإماء حواطب وعيال
وأصدروا خاسرين عن شرّ حال
كذبوا القوم عندنا فى المقال
نسلب الملك بالرماح الطوال
مجموع زهاوها كالجبال
وعقيل وصالح بن هلال
أسلم الوالدات فى الأثقال
بقبال النعال وهط الرجال
صائر النفس أننى غير سال
كل صور وادهم جهال
لكليب الذى أشاب فذالي
واسألانى ولا تطيلا سؤالي
سوف تبدو لنا ذوات الجحال
أن قولى مطابق لفعالي
لكليب فداه عمى وخالي
لاعتناق الكماة والأبطال
سوف أصلى نيران آل بلال
أن تلاقت رجالهم ورجالي
طال ليلى واقتصرت عذالي
يالبكر وأين منكم وصالي
لنضالك إذا أرادوا نضال
لقتيل سفته ريح الشمال

مع رمح مثقفٍ عسال
قرْبَاهُ وقرْبَاهُ رسرْبالي
من بنى بكر جردوا للقتال
واصبروا للنزال بعد النزال
ما لكم عن ملائنا من مجال
مثل عادٍ إذ مزقت فى الرمال
موجع القلب دايم البلبال
من ولا وإهني ولا مكسال
وقهرنا كماتهم بالنضال
بسيوفٍ لقد فى الأوصال
ذات خدرٍ غراء مثل الهلال
واستطعتم فما لذا من زوال

قرْبَا مربط المشهر مني
قرْبَا مربط المشهر مني
ثم قولاً لكل كهلي وناشي
وخذوا حذرکم وشدوا وجدوا
قد ملكناكم فكونوا عبيداً
فلقد أصبحت جمائع بكرٍ
يا كلياً أجب لدعوة داعٍ
ولقد كنت غير نكس لدى ألْبَا
قد ذبحنا الأطفال من ال بكرٍ
وكررنا عليهم واثنيها
أسلموا كل ذات بعلٍ وأخرى
بالبكر فأوعدوا ما أردتم

وهى طويلة أثبتنا منها هذه الأبيات وأما الحارث بن عباد فإنه دعا بفرسه النعامة وكانت أكرم خيل الجاهلية فجاءوه بها فجزّ ناصيتها وقطع ذنبها وكان أول من فعل ذلك من العرب فاتخذته العرب سنةً إذا قُتل لأحدهم عزيزٌ وأراد أن يطلب ثاره ولما بلغ المهلهل ذلك دعا بفرسه المشهر ففعل به كذلك وارتحل الحارث بينه وبين أخيه وقومه نضمهم إلى قبائل بكر فسرّوا مهم سروراً عظيماً وقراهم الحارث بن همام بن مرة وكانت بكر قد قلّدتها رياستها بعد أبيه وأشتهر بالفراصة والكرم والشعر ولما اجتمعت قبائل بكر أغارت بكتايب حمة وخرج المهلهل بن ربيعة بقومه التغلبين فالتقى الفريقان بعويرض واقتتلوا قتالاً شديداً لم يره أحدٌ قبل ذلك اليوم وصافح الحارث بن عباد القتال بنفسه وقتل من التغلبين خلقاً كثيراً فانهمزوا وكان يوماً عظيماً وهو أول يوم هزمت بكرٌ فيه تغلب وقصد الحارث مهلهلاً فصده عنه إلى غيره وقتل كلٌ منهم جماعةً من أعدائه وقال الحارث بن عباد فى ذلك اليوم:

كانا غدوةً وبنى أينا
غداة الخيل تفرع بالذكور

ضراغم ساوَرَت فى الحى يحمي
تجالد فى كتائب من عليّ
جَنب عَوِرضٍ لما ألتقينا
فدانت تغلبُ فى الحرب لما
فخامَ مهلهلُ لما ألتقينا
فلو نشر المقابر عن كليبٍ
ولو قتلوا جميعاً فى بجيرٍ
قتلنا الحى من جشم بن بكرٍ
بشوس من بنى بكر عليهم
وأهلكننا بنى غنم جميعاً
وجالوا من سعيير الحرب حتى
غداة اصببتهم شعواء تردى
حماة من بنى الريساء غرُّ
ومن ذهل بن شيان وقيسٍ
ومن أبناء تيم اللات مجدُّ
وعنزُ فى الوغى لبّات حربٍ
ومن عجل كتائبُ بالمذاكي
يا كليب الخير لأصلح حتى
فلقد أصبحت جمائع بكرٍ
يا كليب أجب لدعوة داعٍ
فلقد كنت غيرنكس لدى البأ

عليها كل ذى لبدٍ هصور
بفتيانٍ كأمثال الصقور
ونار الحرب ساطعة، السعيير
نزاتُ بدهياتٍ فى الأمور
وعرَّد حين ملَّ من الهرير
لخُبْر فى الحفاظ بشرُّ زير
لكانوا فيه كالشيء اليسير
وأدبر جمعهم عند النفير
دلاص السابغات من الحرير
مع القمقام ذى الشرف الخطير
بدت أقدام ربات الخدور
بأسدٍ ما تملُّ من الزمير
إليهم منتهى العافى الضير
لبوِث الحرب فى اليوم العسير
توارثه الصغير عن الكبير
كانَ رماحهم أشطان بير
ترى فى كل يوم قمطير
أسكن اللحد فى التراب المهال
مثل عادٍ إذا مزّقت فى الرمال
موجع القلب دايم البلبال
سٍ ولا واهن ولا مكسال

قد ذبحنا الأطفال من ال بكرٍ
وكررنا عليهم واثنينا
يا بكرٍ فاعودوا ما أردتم
وقهرنا كماتهم بالنضال
بسيوفٍ تقدُّ فى الأوصال
واستطعتم فما لذا من زوال

وهى طويلة أثبتنا منها هذه الأبيات وأما الحارث بن عباد فإنه دعا بفرسه النعامه وكانت أكرم خيل الجاهلية فجاءوه بها فجزَّ ناصيتها وقطع ذنبها وكان أول من فعل ذلك من العرب فاتخذته العرب سنَّة إذا قُتِل لأحدهم عزيزٌ وأراد أن يطلب ثاره ولما بلغ المهلهل ذلك دعا بفرسه المشهر ففعل به كذلك وارتحل الحارث ببنيه وبني أخيه وقومه نضمهم إلى قبائل بكر فسرَّوا مهم سرورًا عظيمًا وقراهم الحارث بن همام بن مرة وكانت بكر قد قلَّدتها رياستها بعد أبيه وأشتهر بالفراصة والكرم والشعر ولما اجتمعت قبائل بكر أغارت بكتايب حمة وخرج المهلهل بن ربيعة بقومه التغليين فالتقى الفريقان بعويرض واقتتلوا قتالًا شديدًا لم يره أحدٌ قبل ذلك اليوم وصافح الحارث بن عباد القتال بنفسه وقتل من التغليين خلقًا كثيرًا فانهمزوا وكان يومًا عظيمًا وهو أول يوم هزمت بكرٌ فيه تغلب وقصد الحارث مهلهلاً فصدَّ عنه إلى غيره وقتل كلَّ منهم جماعةً من أعدايه وقال الحارث بن عباد فى ذلك اليوم:

كانا غدوةً وبني أيننا
ضراغم ساورت فى الحى يحمي
تجالد فى كتايب من عليّ
جَنب عويرض لما ألتقينا
فدانت تغلبٌ فى الحرب لما
فخام مهلهلٌ لما ألتقينا
فلو نشر المقابر عن كليبي
ولو قتلوا جميعاً فى بجير
قتلنا الحى من جشم بن بكرٍ
غداة الخيل تفرع بالذكور
عليها كل ذى لبدٍ هصور
بفتيانٍ كأمثال الصقور
ونار الحرب ساطعة، السعير
نزاتٌ بداهياتٍ فى الأمور
وعرَّد حين ملَّ من الهرير
لخَبَّر فى الحفاظ بشرُّ زير
لكانوا فيه كالشيء اليسير
وأدبر جمعهم عند النفير

بشوس من بنى بكر عليهم
وأهلكننا بنى غنم جميعا
وجالوا من سكير الحرب حتى
غداة اصبتهم شعواء تردى
حماة من بنى الريساء غر
ومن ذهل بن شيان وقيس
ومن أبناء تيم اللات مجد
وعنز فى الوغى لبات حرب
ومن عجل كتاب كتائب بالمذاكي
ومن أولاد يشكر كل شهم
فما فى الناس حى مثل بكر

فأجابه المهلهل من ربعة يقول:

اليلتنا بذى حسم انيري
فإن يك بالذنايب طال ليلي
أرقت وصاحبى بجنون شعب
ولو نشر المقابر عن كليب
ويوم الشعثمين لقر عينا
على أنى تركت بواردات
وهمام بن مرة قد تركنا
هتكت به بيوت بنى عباد
على أن ليس عدلا من كليب

دلاص السابغات من الحرير
مع القمقام ذى الشرف الخطير
بدت أقدام ربات الخدور
بأسد ما تمل من الزمير
إليهم منتهى العافى الضير
لبوث الحرب فى اليوم العسير
توارثه الصغير عن الكبير
كان رماحهم أشطان بير
ترى فى كل يوم فمطير
طويل الياع كالقمر المنير
إذا افتخر المفاخر بالعشير

إذا نت أنقضيت فلا تحوري
فقد يبكى على الليل القصير
لبرق فى تهامة مستطير
لأخبر بالذنايب اى زير
وكيف لقاء من تحت القبور
مجيرا فى دم مثل العبير
عليه القشعثمان من النسور
وبعض القتل اشفى للصدور
إذا خاف المغار من المغير

على أن ليس عدلاً من كليب
على أن ليس عدلاً من كليب
على أن ليس عدلاً من كليب
على أن ليس عدلاً من كليب
على أن ليس عدلاً من كليب
على أن ليس عدلاً من كليب
على أن ليس عدلاً من كليب
على أن ليس عدلاً من كليب
على أن ليس عدلاً من كليب
على أن ليس عدلاً من كليب
تسايلنى أميمة عن أبيها
فلا وأبى أميمة ما أبوها
ولكنّا طعنّا القوم طعنًا
نكبّ القوم للأذقان صرعى
فدى لبنى شقيق حين جاءوا
غداة كانتا وبنى ابينا
فلولا الريح اسمع من بحجر
وكانوا قومنا فبغوا علينا
تظلّ الطير عاكفة عليهم

وقال المهلهل أيضًا:

اثبتْ مرّةً والسيوف شواهرٌ

إذا طرد الينيم عن الجزور
إذا ما ضيم جار المستجير
إذا ضاقت رحيمات الصدور
إذا خاف المخوف من الثغور
إذا طالت مقاساة الأمور
إذا هبّت رياح الزمهرير
إذا وثب المثار على المثير
إذا عجز الغنى عن الفقير
إذا خرجت مخبأة الخدور
إذا هتف المثوب بالعشير
وما تدرى أميمة عن ضمير
من النعم المؤئل والجزور
على الاثباج منهم والنحور
ونأخذ بالترايب والصدور
كأسد الغاب نلجب بالزئير
بجنب غنيزة ركننا ثبير
صليل البيض تفرع بالذكور
فقد لاقاهم لفح السعير
كأنّ الخيل تنضح بالعبير

وصرفت مقدمها إلى همّام

وبنو لجيم قد وطأنا وطأة
ورجعنا نحتنيءُ الفنا فى ضمّر
وسقيت تيم اللات كاساً مرة
وبيوت قيس قد وطأنا وطأة
ولقد قتلت الشعثمين ومالكاً
ولقد قتلت الشعثمين ومالكاً
ولقد خبطت بيوت يشكر خبطة
ليست براجعة لهم أيامهم
قتلوا كلياً ثم قالوا ارتعوا
حتى تلفَ كتيبة بكتيبة
وتقوم زبّات الخدور حواسراً
حتى نرى غرراً تجرّ وجمة
حتى يعض الشيخ من حسراته
ولقد تركنا الخيل فى عرصاتها
فقضين ديناً كنّ قد ضمته
من خيل تغلب عزة وتكرماً

فأجابه الحارث بن عباد:

حى المنازل أقفرت بسهام
جرت عليها الرامسات ذيولها
أقوت وقد كانت تحلّ بحوّها
وبمعصم عبلٍ وعينى جوذر

بالخيل خارجة عن الأوهام
مثل الذئاب سريعة الأقدام
كالنار شبّ وقودها بضرام
فتركّن قيساً غير ذات مقام
وابن المسور وابن ذات دوام
وابن المسور وابن ذات دوام
وأخواننا وهُم بنى الأعمام
حتى تزول شوامخ الأعلام
كذبوا وربّ الحل والإحرام
ويحلّ اصراماً على اصرام
يمسحن عرض تائم الأيتام
وعظام رؤوسٍ عشت بعظام
مما يرى جزعاً على الإبهام
كالطير فوق معالم الأجرام
بعزائم غلب الرقاب سوام
مثل الليوث بساحة الأنام

وعفت معاملها بجنب برام
وسجال كلّ مخلخلٍ سجّام
حور المدامع من ظباء الشام
ومفلج حسنٍ وحسن قوام

وروادفٍ مثل النقا مجدولةٍ
تركتك يوم تعرضت لك باللوا
أن الأراقم أصبحت مسئولة
تركت ظباة سيوفنا ساداتهم
لا تحسبن أنا هممت مجربنا
ولقد علمت وأنت فينا شاهدٌ
أنا لتمعن بالطعان ديارنا
فوق الجياد شوا خصاً أبصارها
ضمنت لها أرماحنا وسيوفنا
وإذا الكرام تذاكرت أيامها
فأسئل لكندة حين أقبل جمعها
ملكان قد قادا الجيوش واثخنا
رجعا وقد نسيا الذى قصدا له
وجرى النعام على الفلاة جوافلاً
ووجدت ثم حلومنا عادية
أبعد مقتلكم بجيراً عنوةً
كلّا ورب الراقصات إلى منا
حتى تقيدون النفوس بقتله
وتجول ربّات الخدود حواسراً

ثم التقى القوم بعويرض مرةً أخرى فاقتتلوا قتالاً ومازالت رحي الحرب
تعركهم بثقالها. وتدور عليهم بأثقالها حتى أقبل جيش الليل الاعتكار وشمّر
لللهزيمة جند النهار وكان التغلبون قد استظفروا على بنى بكر ومالوا عليهم

بالسيوف والرماح وهزموهم في تلك البطاح وقد كثر فيهم القتل والجراح وكان المهلهل قد باشر بنفسه القتال وفعل فعلاً تعجز عنها صناديد الرجال وراح ظافراً منصوراً بمن معه من الأبطال وجعل بعد ذلك بجرد لبني بكر الفرسان والحجافل ويكمن لهم على الأمياء والماهل فلا يلقي شيخاً ولا صبيّاً إلا قتله ولا مალّاً إلا اغتنمه ثم أنه خرج ذات يوم في كتيبة من قومه ومعه كنيفٌ بن حى وكان من أشرف تغلب وفرسانها فخرجا للغارة على بكر مجردين فمرّا بقوم من بنى تغلب يقال لهم بنو تيم فقال مهلهل اركبوا معنا يا بنى تيم لقتال بكر فكرهوا وقالوا ما كنا لنحارب من لم يحاربنا فقال مهلهل أما سُمِلتكم الحرب بعد والله ما كنا نظن إلا أنها شملت من في المشرق والمغرب من بنى وایل فتقدم كنيف وقال لهم تنحوا عن منزلكم هذا فأنا نريد الغارة على القوم ونخاف أن أصبناهم أن يصيبوكم قالوا ما علينا من بأس إنما يطلبون من قتلهم فتركاهم ومضيا في جيشهما حتى وقعا بحى من بكر ليلاً فأخذوا أموالهم وقتلوا رجالهم وأخذ مهلهل روس ساداتهم وأشرفهم فحملهم على ناقة له تسمى الحلق ورجعا في جوف الليل فطرحا الروس في دار القوم المعتزلين من بنى تيم وبين بيوتهم فلما أصبحوا إذا الكلاب تجر الروس فعلموا أنها مكيدة المهلهل فخافوا واحتسبوا من عواقب الأمور وارتحلوا من وقتهم وانضموا بتغلب فلم يبق من بكر ولا تغلب قبيلة إلا شملتها الحرب.

قال ولما ألح المهلهل على بكر وأهلكهم أرسلوا إلى من باليامة من بكر بن وایل يستخدمونهم فأمدوهم برجلٍ منهم يقال له الفند بن سهل وكان شجاعاً لا يطاق فسار إلى بنى شيبان وقد انتخب من أشكاله وفرسانه سبعين فارساً فأرسلوا إليهم يقولون اننا قد أمددناكم بألف فارس وسبعماية فارس فلما قدموا إذا هم سبعون تحت راية الفند بن سهل قالوا لهم فاين جماعتكم قال الفند أنا بألف فارس وأصحابى بسبعماية فارس.

قال وسمعت بنو تغلب بقدوم الفند فتأهبوا واستعدوا للقتال وتزايدوا في الخيل والرجال والتقوا بالعقبة وعلى بنى تغلب مهلهل بن ربيعة وعلى بنى بكر الحارث بن همام بن مرة فلما تراءى الجمعان قال الحارث بن عباد للحارث بن همام هل تطيعنى فيما أشير به عليك قال نعم قال تعطون كل امرأة من نساىكم هراوةً وقربة ماءٍ

وتجعلوا هذه خلفكم إذا اصطففتم للحرب وتحلقون رؤوسكم علامةً لهن فإذا جرح منكم رجلٌ عرفتهُ بتلك العلامة فأقْبان عليه يسقينهُ ويأخذن بيده وإذا مررن بجريح من أعدايكم ضربنهُ بالخشب فقتلنهُ ففعل الحارث بن همام ما أمره به وانتشب القتال بين القوم. وتجالدوا بالسيوف صدر ذلك اليوم ثم جالت بكر على تغلب فاستهزموا لهم حتى استمكنوا منهم، فأطبقوا عليهم وأذاقوهم البلا ونظر الحارث بن عباد إلى فارسيٍّ من تغلب لا يدنومن كتيبةٍ إلا مَرَّقها فدعا بعمامةٍ وشد حاجبيه ووثب بالنعامة على ذلك الفارس فلحظنهُ وأتى به إلى قومه وهو يقول شعراً:

إنى أرى ذا جادٍ باسٍ تخالهُ البحر إذا تقاسى

فهو به الوفاء دون الناس

وكان ذلك الفارس هو المهلهل بن ربيعة إلا أن الحارث لم يكن يعرفه لطول العهد بينهما وكان المهلهل ذا رأى ومكيدة فلما أيقن بالهلكة استنزل عن فرسه وتنگر وقصد شيخاً كبيراً من ذهل بن شيبان يقال له عوف بن محلم وكان له نديماً وصديقاً قبل وقوع الفتنة فجعل بدانيه حتى استجار بالخباء ومكر بالحارث بن عباد فقال له هل أدلك على المهلهل فتقتلهُ وتؤمننى قال وكيف لى بذلك قال أعطى ضميناً بالأمان حتى أدلك عليه قال اخترتك لك ضميناً من بكر ترضى به قال أريد عوف بن محام فقال الحارث أضمن له يا عوف فضمن وكانت العرب ترى الموت قبل نقض الذمة فلما أعطاه الحارث ذمته وأمانه قال أنا مهلهل بن ربيعة خدعتك عن نفسى والحرب خدعة فندم الحارث على إجارته لكنه لم يستطع أن يغدر به لما اعطاه من الذمة فقال له كافنى بما صنعت لك بعد جرمك العظيم قال بماذا قال دلنى على شريف من قومك أقتلهُ لولدى ابن اختك بجير الذى قتلتهُ ظلماً وعد ماناً قال مهلهل أترضى بأمره القيس بن ابان قال الحارث ثكلتك أمك وما خير قومك من بعده

وقد رضيت به فوق الرضى فقال مهلهل افترى صاحب الفرس الأشقر المتعمم بالعمامة المرأ الذى يعطفها بيده كيف شاء قال نعم قال فإن ذلك امرء القيس بن أبان فقصدته الحارث بن عباد فأحتضنهُ وأتى به قومه فضرب عنقه.

قال مؤلفه وامرء القيس هذا هو الذى كان مع مهلهل يوم قتل بجيراً ونهاه من قتله وقال لين قتلته ليقتلن به الحارث كبش بى تغلب فكان هو المقتول ولما رجع المهلهل إلى قومه عطفوا على البكر بين وقاتلوا قتالاً شديداً حتى كان آخر النهار فكانت الدائرة على تغلب فالتقاء نشاء الحى والصبيان ومن تخلف من الرجال عن الحرب يسئلونه عن ابايهم وإخوانهم فأبى أن يخبرهم ومضى المهلهل بعد ذلك بجماعة قومه نحو العراق منهزماً وسارت بكر فى آثارهم يلحقونهم من منزل إلى منزل حتى لحقوهم بأطراف الجزيرة وما يليها من البلاد فقتلوا منهم وأسروا ثم رجعوا عنهم بعد قتل شنيع.

قال وكان قد انتشر حديث المهلهل فى امرء القيس بن أبان إلى الحارث بن عباد وشاع فى قبائل العرب فغضب قرابة امرء القيس المذكور وقالوا لابد من قتل المهلهل فإذا قتلناه استرحنا منه فاجتمعت جموع وائل وأرادوا الوثوب عليه فقامت فرقة من تغلب وأكابرها وأهل الرأى فمنعوههم وقالوا لا يقتل المهلهل ومنا عين تطرف وبلغ المهلهل ذلك فأنف وغضب وعز على فراقهم فاجتمعوا إليه وقالوا ما كنت تفارق عشيرتك إلاً منهؤلاء الأوغاد ونحن بين يديك فمرنا فيهم بما شئت فقال والله لا أقيم فى تغلب بعد أن حدث رجلٌ منها نفسه بقتلى فارق المهلهل قومه وسار بماله وإخوته وأهله ولحق بأرض اليمن باستجار بمذحج وسكن فى سعد العشيرة فمكث فيهم ما شاء الله تعالى ثم جاء إليه رجالٌ من مذحج وإشرافهم فخطبوا إليه أبنته سليمة فأبى عليهم وامتنع فقالوا له يا مهلهل أنك لترغب بابتك عنا حتى كأنك خير منا فخرج من كلامهم وزوجها برجلٍ منهم وقال هى لك زوجةً فلست بخير منك فى بلدك ثم نادى بالرحيل فى أهله وحشمه وسار من يومه حتى لحق بالنمر بن قاسط وهم أحلافه وأنصاره وأقام عندهم بنى بكر ورجعوا إلى بلادهم وتركوا الفتنة ولم يحضر مهلهل صلحهم ثم اشتقاق إلى أهله وقومه ولجت عليه أبنته سليمة بالمسير حتى قرب من قبر أخيه كليب وكانت عليه قبة رقيقة فلما رآه خنقته العبرة وهطلت دموعه على خديه من شدة الحزن وكان تحتة بغل له نجيب فلما رأى البغل القبر فى غلس الصبح نفر منه هارباً فوثب عنه المهلهل وضرب عرقوبه بالسيف فعقره وقال:

رماك الله من بغل
 أما تبلغنى أهلك
 أكل الدهر مركوب
 وقد قلت ولم أعد
 ألا أبلغ بنى بكر
 وأبلغ سالفاً حلوا
 بدائم قومكم بالغد
 قتلتم سيد الناس
 وقلتم كفوه رجلاً
 وليس الرجل الماجد
 فتى كان كالف من
 لقد جيئتم بهما
 وقد جبتم بها شعوا
 وقد كنت أخا لهو
 إلا يا عادلى اقصر
 بأننا تغلب الغالبا
 رجال ليس فى حرج
 ها فلم جساس
 سأجزى رهط جساس
 يشحوذ من النبيل
 أو تبلغنى أهلى
 من النكباء والعزل
 كلاً ما غير ذى هزل
 رجالاً من بنى ذهل
 إلى قارعة النخل
 ر والعردوان والقتل
 ومن ليس بذى مثل
 وليس الرأس كالرجل
 مثل الرجل النذل
 ذوى الأنعام والفـضل
 ء كالحية فى الجـذل
 أشابة مفرق الطفل
 فأصبحت أخا شغل
 حاك الله من عـذل
 ء نعاو كل ذى فضل
 لهم مثل ولا شكل
 لهم من شيء الفعل
 كحذو النعل بالنعل

قال وسار المهلهل فتزل فى قوميه وبلاده زماناً غير أنه مرصد للحرب لا يهم
 بصلح ولا يشرب خمراً ولا يحل لامته ولا سلاحه ولا يضرب فداحا ولا يقرب
 نكاحاً ولا يشم أرواحاً ولا يلهو بلهو ولا يغتسل بـاء حتى كان جلسه يتأذى منه

من رايحة صدا الحديد فلما كان ذات يوم دخل عليه رجلاً من بنى تغلب يقال له ربيعة بن الطفيل وكان له أخاً ونديماً فلما رأى ما به قال أقسمت عليك أيها الرجل لتغتسلن بالماء البارد ولتبلن ذوليك بالطيب فقال مهلهل هيهات هيهات يا ابن الطفيل هبلتنى إذا بينى وكيف باليمين التى آليت كلا أو قضى من بكر وربى قال ربيعة على رسلك أيها الرجل فلا ضير عليك أما غلاءك فينهض البيض وهى مسدولة على عاتقك والآخر يصب الماء وأما أنا فإبل مفارقك بالطيب فقال كهلهل أما أنا فلا أمرك ولا أنهاك أنت من ذوى فلما أهوى الغلام بيده إلى البيضة لينهضها إذ هو بشى يدب في البيضة وأحس مهلهل بذلك فقال يا غلام ردوها فتر به كليب لا تزول من مكانها حتى أفنى بكرًا أو أذوق الموت ولكن أمدد يدك إلى ناحية الجريان حتى تنال ظهري فأنى أحس شيئاً قد أذانى فأهوى الغلام بيده فإذا شيء فقبض عليه فأخرجه فإذا هو قبضة قمل بدرت من تحل البيضة متراكمة فلما نظر إليها مهلهل قال وايك يا ربيعة ما نأت نارى بعد أو يرجع هذا القمل عقارب وأفاعى ثم تأوه وزفر وتذكر كليباً فأنشد يقول:

أن فى الصدر من كليب وداع	هجسات نكأن منه الجراحا
أنكرتنى حليتنى إذ رأتني	كأسف اللون لا أطبق المزاحا
ولقد كنت إذا أرجل رأسي	ما أبالى الإفساد والإصلاحا
ليس من عاش فى الحياة شقياً	كأسف اللون هائماً ملتاحا
يا خيلى نادى الى كليباً	وأعلم أنى ملاق كفاحا
يا خيلى نادى الى كليباً	ثم قولاً له نعمت صباحا
يا خيلى نادى الى كليباً	قبل أن تبصر العيون الصباحا
ترك الدار ضيفنا وتولى	عذر الله ضيفنا يوم راحا
ذهب الدهر بالسماحة منا	يا ذا الدهر كيف راضى الجماحا
ويح أمى وويحها لتقيل	من بنى تغلب وويحاً وواحا

فنده قد أشاب منى المساحا
قد تفانوا فكيف أرجو الفلاحا

يا قتيلاً نماه فرع كريم
كيف أسلو عن البكا وقومي

وبلغت هذه الأبيات سادات بكر فأجابه الفند بن سهل يقول:

أعرضت قبلنا رجالاً صحاحا
ولا يلاقى الممات منها رواحا
يذكر الألف فى العصون فتاحا
إذا أتاهم هول العذاب صباحا
فما عافت البلاء المتاحا
وسيوفاً هنديةً ورماحا
إذ بدا كاتم الضمير فباحا
فأطحنا سراتهم حيث طاحا
معلنات مع البكا بالنواحا
بعد ما صار مفرداً مستباحا

ابن ليلى وأين ليلى وليلى
لا ترى عاشقاً تعلّق ليلى
هاج لى ذكرها حمام هدوّ
لقيت تغلب كهلة عاد
ونينا عن حربنا تغلب الشوم
دون أن أبصرت خيولاً لبكر
فقتلنا بواردات رجالاً
ورجت تغلب تعيد كلياً
قد تركت نساءهم معولات
وترى الزير يمجج القول فينا

فلما بلغ مهلهلاً وروسا تغلب هذا الشعر أنفوا ونقضوا الصلح وجمع المهلهل
فرسان تغلب وأغار بهم على بنى بكر فالتقوا ضبيعة جد عمرو بن كلثوم التغلبى
الشاعر ثم أن مهلاً بعد ذلك وإرسل إلى بكر يطلب جساساً قاتل كليب وكانت
أحوال جساس بالشام فلحق بهم فى نقرٍ قليل من قومه ولما بلغ المهلهل ذلك أرسل
فى طلبه ثلاثين نفرًا فأدركوه فى الطريق واقتتلوا فلم يسلم من الفريقين إلا قليلٌ
وأنجرح جساس رجًا شديدًا فمات منه وقيل لم يمت من ذلك لكن قتله الهجرس بن
كليب بن ربيعة وذلك أن امرأة كليب الجليلة أخت جساس كانت حاملاً لما قتل
كليب فولدت غلاماً سمته الهجرس وكانت حينئذ قد لحقت بقومها فنشا الغلام مع
خواله بنى مرة وأولادهم وكان خاله جساس يحسن العلام على ذلك ما شاء الله إلى
أن وقعت فتنه بينه وبين رجلى من آل مرة فقال له الرجل ما أراك نهذا حتى الحقك

بأبيك وكان جساس وقال له أنت ولدى وابن أختى وقد زوجتك ابنتى رغبةً منى
فيك وقد علمت ما كان بينى وبين قومك من الفتنة ثم اصطلحا وأريد أن تنطلق
معى إليهم فتدخل فيما دخل فحمل عليه الهجرس وهو يقول ومهرى وأذنيه ورمحى
وطر فيه لا يدع المرأة قاتل أبيه وهو ينظر إليه ثم طعنه بالرمح فدوّ صلبه وركض
بجواده يريد عمه المهلهل وهو يقول:

تبين خليلى ابن صارت ديارنا وأين لنا من آل مرة ناصر
وقد بجبر العظم الكسير فيستوي ويولد بعد المرء يا سعد ثائر

ففرح به عمه ولاطفه وقربه وأعطاه رياسة قومه مكان ثم انبعثت الحرب بين
الفريقين وتواعدوا القتال واجتمعت قبائل النمر بن ساقط مع بنى تغلب وسيدهم
سالم بن يزيد اليمرى فأقتتل القوم فتالاً شديداً وكثرت القتلى بينهم وكانت لهربة
على بنى تغلب والنمر بن ساقط وقتل فى ذلك اليوم الهجرس بن كليب ومضى
المهلهل فقدّمهم بين يديه فى أول النهار وتحلف بعبدين له يريد غرة عوف بن مالك
ليقتله فلما لم يصادف غرة له سار فى أثر أهله حتى إذا كان فى بعض الفلوات نزل فى
ظل شجرة فنام وكان العبدان قد ضجرا منه لطول بلايه لانه كان قد غزا مهما
غلامين حتى وخطهما الشيب ولم يزل على عزمه فوثبا عليه وأخذا بيديه فانتبه وقال
ما بالكما قالان نذيقك ما أدقت العرب قال إن لم يكن بدّ من ذلك فإذا أتيتا ابنتى
فخصاهما عنى بالسلام وقولا لهما هذا البيت:

من مبلّغ الأقوام أن مهلهلاً لله دركم وأرأبكم

قالا نعم ثم طعنه أحدهما فقال المهلهل ثكلتك أمك لو أخذت البيضة عن رأسى
لكفأك أخذها دون أن تضع يدك فى سيدك فأخذا البيضة فامتتعت عليها بأهلها
بيكيان ويقولان وامهلاهلاه وأسيدنا ولفارس العرب فلما سمعتها بننه سلمى
وهى امرأة الهجرس بن كليب قالت ما وراء كما فقالا مات أبوك المهلهل وتركنا
عليه على القوم قالت فهل أوصاكما بشيء قالوا لا والله غير أننا سمعناه وهو يجود
بنفسه يقول:

من مُبلغ الأَقوام أن مهلهلاً	الله درُكُمَا ودرُ أَيكُمَا
------------------------------	-----------------------------

ففكرت سليمى ومن حولها فلم يجدوا مخرجاً لذلك وغذا ابنته الصغيرة تبكى ولقول واتكلاه قتيلاً ورب الكعبة أوثقوا العبدین فأوثقهما فنبأ من تغلب فاختلط كلامها فقالت أتدرون ما اراد أبى قالوا لا فماذا قال يا ابنة تغلب قالت ما أراد إلا أن يقول

من مبلغ الأَقوام أن مهلهلاً ضحى قتيلاً فى الملاة مجدً
الله درُكُمَا ردر أبويكُمَا لا يبرح العيدان حتى يقتلا

فأمرؤا بالعبدین فضربت أعناقهما ورجع بنو تغلب إلى أرضهم واحتسب بكر وتغلب فى القتلى وأحطوا عن كليب عشر دياتٍ وارتفع السيف من بينهم وطالت المناجح على المهلهل وكثرت المرائى وأعولت عليه تغلب كما يليق بمثله وخمدت بعده نار الحرب بعد اشتعالها بينهم مدة أربعين سنة وقام كل فريق منهم فى أرضه إلى ما شاء الله انتهى